والفريد هنا ، بل اللافت للنظر ، أن اعادة البنيان والتنظيم قد جرت في المنفى ، وتحت الاضطهاد الدائم . ولنر كيف استطاع شعبنا أن يقدم نفسه اليوم للعصبة الدولية : « وتعتز منظمة التحرير الفلسطينية بأنها وهي تخوض المعارك المسلحة وتواجه قساوة الارهاب الصهيوني ، قامت بمآثر عديدة حضارية وثقافية ، فشكلت مؤسسات البحث العلمي ، والتطوير الزراعي ، والرعاية الصحية ، واحياء التراث الحضاري لشعبنا ، وتطوير الفولكلور الشعبي ، وخرجت من بين صفوفها عددا من الشعراء والفنانين والكتاب الذين يسهمون في تطوير الثقافة العربية ، وربما امتد ذلك الى الثقافة العالمية »(٢١) .

كيف أمكن لهذا التحول العميق ان يتحقق ؟ منذ الهزيمة الكبرى الثانية والتالية للعدوان الاسرائيلي ، استعاد الشعب الفلسطيني الشعور بالوعي في نفسه كذات ، فمثل كفاحه الوطني بنفسه ، ولم يتركه تحت وصاية أحد . وبحث عن حلفائه الحقيقيين في المعسكر الاشتراكي ، وعند شتى حركات التحرر الوطني . وما كان هزيمة عسكريا سنة ١٩٦٧ ، كان في ذات الوقت قطيعة مع ماض سلبي .

(٢) انحطاط علم الجمال الرجعي وارتقاء علم الجمال الثوري في الادب العربي

(أ) انحطاط علم الجمال العربي الرجعي

بدأ علم الجمال العربي الكلاسيكي يتحول بين الحربين العالميتين ، وقد احتل الكتاب المصريون المقدمة في عملية التوجه الجديد . وتميز الواقع التاريخي في هذا العصر ، مثلما ذكرنا ، بالكفاح ضد الاستعمار في فلسطين ، ولكن أيضا في سوريا ومصر . وقد تمخض الاستعمار الجديد ، بعد أفول نجم الامبراطورية العثمانية العجوز ، عن اخفاق النظام الاقطاعي القديم في هذه المنطقة من العالم . وانكشف هذا النظام بعدم قدرته على مواجهة التحدي الجديد ، وكان التعبير عن عدم القدرة هذه هو تنامي الضيق الاجتماعي . ولاول مرة منذ قرون ، بدأت الجماهير الشعبية تحتج على حالة الركود ، وتطالب بتغيير الشروط الاجتماعية . فأدت الانتفاضات الى استقلال بلدين عربيين نعرض بشأنهما مقتطفا من تقرير اللجنة الملكية البريطانية لعام ١٩٣٧ : « في شتاء ٣٥ ــ ١٩٣٦ شهدت المنطقة انبعاثا في النشاط القومي في مصر وسوريا ، وكان على درجة من الحيوية في القطرين بحيث حقق أهدافه خلال بضعة شهور ، وفاز القطران بالاستقلال القومي »(٢٢) .

ان الانطلاقة الشعبية الرامية للاستقلال لها محتوى اجتماعي موازٍ للثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦ ، وهي الحركة الشعبية التي أصبحت قوة سياسية رغم طابعها العفوي واللامنظم : « أندلعت (الانتفاضة) في مصر في شهر تشرين الثاني ١٩٣٥ على شكل مظاهرات عنيفة اجتاحت القاهرة وغيرها من المدن ، وأدت الى مصادمات مع قوات الامن وسقوط قتلى وجرحى ، واضراب عام في القاهرة جرى في ٢١ تشرين الثاني ١٩٣٥ ، وتحرك شعبي ديناميكي أجبر الاحزاب على تأليف جبهة وطنية في ١٠ كانون الاول ١٩٣٥ ، طالبت باعادة دستور ١٩٢٣ والاعتراف عمليا باستقلال مصر »(٢٣) . . .(٢٤) .

ويجدر بنا ان نأخذ بعين الاعتبار هذه التحولات داخل البنية الاجتماعية العجوز ، لنفهم التعديلات التي طرأت على القيم الثقافية القديمة . لقد وجدت هذه القيم القديمة نفسها متخلفة نسبة الى التطور الاجتماعي، وأصبحت بالتالي وبشكل مكشوف رجعية . وبالمناسبة نذكر مثلا عباس محمود العقاد ، الذي يدافع في كل انتاجاته عن القيم الميتة ، ممتدحا العهود البائدة ، ومقاتلا كل اشكال الفكر التقدمي .